تفاعل الأنساق اللغوية والثقافية وتداخلها
- مقاربة: بَيْنِيَّة: سوسيو - لسانية – [1]

أولا: الأسس والمنطلقات

ما يمكن لنا الإشارة إليه منذ البدء هو أنَّ المتغيرات التي يشهدها المسار التحولي للعلوم والمعارف الإنسانية تستدعي الانصراف نحو الكلية والشمولية في التعامل مع الأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية، وترسيخ مبدأ التعدد في مصادر المعرفة، وتقاطع مجالاتها، وتكامل نتائجها، بدءًا ومآلاً. ولذلك فإنَّ مستقبل العلوم الإنسانية بعامة، والعلوم اللسانية والاجتماعية بخاصة مرهون بتطور الدراسات البينية Interdisciplinary / Interdisciplinarité التي ستعيد الاعتبار لوحدة العلوم وتكاملها.

ومن ههنا فإنَّ أقل الناس إلمامًا بما تحقق في مجال المقاربات السوسيو - لسانية والسوسيو- ثقافية للغات يدرك لا محالة أنَّ الأنساق اللغوية والثقافية تتماز بالتفاعل والتداخل في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات، الأمر الذي يستدعي استرفاد آليات معرفية ومنهجية تستمد أصولها من تعدد المعارف والعلوم وتداخلها؛أي اعتماد جميع المعارف التي لها صلة بتشكل الأنساق اللغوية والثقافية في المجتمع الأحادي اللغة أو المتعدد اللغات أو هما معًا، فهي، حينئذ، مقاربة بينية ليس إلاَّ.

ويجد هذا التوجه نحو المقاربة البينية للأنساق اللغوية والثقافية مسوغًا له في المتغيرات العميقة التي يشهدها المسار التحولي للحضارة الإنسانية الجديدة. تلك المتغيرات التي جعلت الفكر البشري ينصرف

---

[1] - أ.د/ أحمد حساني؛ كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي.

إلى البحث عن الوحدة الداخلية للمعارف الإنسانية، ومن ثمة البحث عن العناصر الفاعلة التي تعزز العلاقات المعرفية والمنهجية بين العلوم والمعارف، لأنَّ كثيرًا من المشاكل الطارئة في المجتمع الإنساني لا يمكن معالجتها إلا باعتماد آليات منهجية تعددية (بينية)، ومن ههنا أضحت المقاربة البينية مطلبًا علميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا بشكل عام لا ينهى عنه، إذ إنّها تعيد الاعتبار للوحدة الابستمولوجية بين العلوم والمعارف بوصفها منجزات متجانسة بتجانس الفكر البشري.[1]

من هذا المنطلق التكاملي الشمولي يمكن لنا أنْ نحتوي المعرفة بكل يسر، وأنْ نضطلع بوضع الآليات الكافية لتعميق التحليل المنهج للأنساق اللغوية والثقافية، إذ إنَّ "قِوَامَ التحليل أنْ ينطلق من كل مختلط لينفذ بالتتابع وعلى انفراد إلى تفاصيله"[2] باستخدام آليات المنهج العلمي؛ أي مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم، بلوغ الحقائق المتوخاة مع إمكانية بيانها والتأكد من صحتها.[3]

وبناء على هذا التصور فإنَّ فهمنا المعرفة هو في جوهره إدراك العلاقات القائمة بين المكونات الجزئية للمعرفة المنجزة من حيث هي نسق فكري، فتحديد المعرفة هو في الواقع " تحديد علاقات الأشياء بعضها ببعض حتى إذا كثرت هذه العلاقات إلى الحد الذي يجعلنا نعلم جميع العلاقات بين جميع الأشياء أصبحت المعرفة بالحقيقة كاملة ".[4]

---

[1] -Voir, Léo Apostel et autres, Interdisciplinarité et sciences humaines Volume I. Unesco 1983 (PUF) Paris 1983.p53.

[2] - اميل برهييه، تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر، ترجمة جورج طرابشي (الجزء الخامس) دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ص 96.

[3]. -Voir,Madeline Grawitz, Méthode des sciences sociales, 5 éditions , (Paris: Ed,Dalloz, (1981) p348.

[4] - محمد كامل حسين، وحدة المعرفة، مكتبة النهضة المصرية، ص 56.

يرتبط هذا الإدراك الواعي بتشكل الفكر الإنساني، ومشدود شدًّا قويًّا إلى المنجز المعرفي في المسار التحولي لتاريخ الإنسانية، ومن ثمة فإنَّ الفكر الإنساني في حد ذاته- كما يرى باشلار[1] لا يعدو أنْ يكون " بنية قابلة للتغيير منذ اللحظة التي يكون فيها للمعرفة تاريخ ".[2]

تهدف هذه الدراسة، حينئذ، إلى إيجاد إجابات علمية كافية لكثير من الأسئلة التي تُطرح بشأن تفاعل الأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات من جهة، وبشأن فاعلية المقاربة السوسيو - لسانية (Socio-linguistique[3] والسوسيو - ثقافية (Socio-culturelle[4] في ترقية الدراسات البينية وتعزيزها من جهة أخرى.

وفي ظل هذه الاهتمامات كلها التي أوردناها، يكون خليقًا بنا نحن في هذا المقام أنْ نطرح كثيرًا من الأسئلة التي لها صلة بواقع تفاعل الأنساق اللغوية من حيث هي أنماط تواصلية في المجتمع المتعدد.

---

[1] - غاستون باشلار Gaston Bachelard (1884 – 1962) فيلسوف فرنسي، كرس حياته العلمية لفلسفة العلوم، وقدّمَ أفكارًا متميزة في مجال الابستمولوجيا. أهم مؤلفاته في فلسفة العلوم:

العقل العلمي الجديد (1934)
تكوين العقل العلمي (1938)
العقلانية والتطبيقية (1948)
المادية العقلانية (1953)

[2] - غاستون باشلار، فلسفة الرفض، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص 144.

[3] - المقاربة السوسيو- لسانية Aproche Socio-linguistique، هي فرع من المقاربة اللسانية تهتم بالعلاقة ما بين الألسنة والمجتمعات، وبالأسباب والظروف الاجتماعية التي تحيط بالبحث اللساني. ينظر، لويس جان كالفي،حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008. ص400.

[4] - مقاربة اجتماعية وثقافية تجمع بين البنى الاجتماعية والبنى الثقافة لمجموعة بشرية معينة.تفيد هذه المقاربة من علم الاجتماع والأنثروبولوجية الثقافية.

1- كيف يمكن لنا أنْ نستثمر بوعي علمي عميق الإنجازات المعرفية والمنهجية المحققة في الدراسات البينية لترقية المقاربة اللسانية الاجتماعية، وتحيين آلياتها الإجرائية، وتحديثها باستمرار؟

2 - ما الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها لتوظيف المرتكزات اللسانية والاجتماعية والثقافية في المقاربة البينية لظاهرة تفاعل الأنساق اللغوية وتداخلها ؟ وما السبل المؤدية إلى إدماج المقاربة اللسانية التقابلية في تعليمية اللغات في الوسط المتعدد اللغات والثقافات؟

4 - هل الإجراءات المعتمدة في اللسانيات التقابلية واللسانيات الاجتماعية كافية لإيجاد بديل منهجي مؤهل لإضفاء الشرعية على وجود دراسات لسانية بينية جادة يمكن لها أنْ تسهم في ترقية تعليمية اللغات من منظور تعددي؟

ثانيًا: تفاعل الأنساق؛ الحد والإجراء

1- التفاعل: المفهوم والآلية.

يعد التفاعل (Interaction) ظاهرة طبيعية وإنسانية في الآن نفسه من حيث كونه حركة داخلية وخارجية بين عناصر ومكونات فاعلة ترتبط بالطبيعة وتحولاتها، وترتبط كذلك بالإنسان والمجتمع البشري، وبتشكلاته اللغوية والاجتماعية والثقافية والحضارية بشكل عام.فهناك التفاعل النفسي على المستوى الفردي، والتفاعل اللغوي والاجتماعي والثقافي والحضاري، على مستوى اللغات والمجتمعات والثقافات والحضارات.

ومن هذا المنطلق فإنَّ مفهوم التفاعل (Interaction) من حيث بنيته اللسانية والفكرية في الثقافة الاصطلاحية للعلوم الطبيعية والإنسانية، يتعلق بسيرورة متحولة أساسها الفعل ورد الفعل، وقد يوسع مفهومه

الدلالي ليشمل العلاقات بين الأشياء المنتظمة في سيرورة قائمة على التغير والاستحالة من البدء إلى المآل.[1] تَفَاعَلَ الشَّيْئَانِ: أثَّر كلٌّ منهما في الآخر، وتَفَاعَلَتِ المادَّتانِ: تَدَاخَلَتَا؛ أَيْ أَثَّرَتْ كُلُّ مَادَّةٍ فِي الأُخْرَى. ومنه التَفَاعُلُ الكِيمِيَائِيُّ وهو تَغَيُّورٌ يَحْدُثُ فِي الموادِّ الكِيمِيَائِيَّةِ بِتَأْثِيرِ بَعْضِهَا فِي بَعْضها الآخر. ومنه كذلك التفاعل الثقافي، وهو تَأَثُّرُ الثَّقَافَاتِ بعضها ببعض. وكذلك التَّفَاعُلُ الاجْتِمَاعِيُّ حركة التأثير والتأثر بين المكونات الاجتماعية في أنساقها المختلفة.[2]

يتبدَّى للرائي المتأمل، حينئذ، أنَّ التفاعل عملية مركبة داخلية وخارجية تتضمن:

1 - الفعل ورد الفعل.
2- التأثير والتأثر.
3- التداخل والتقاطع.
4 - التغير والاستحالة.
5 - التكامل والتبادل.

وهو إذ ذاك حركة فاعلة تشهدها المواد في الطبيعة تؤدي إلى التغير والتجدد والاستحالة،وسيرورة قارة ومتجددة في المسار التحولي للأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية في المجتمع البشري.

2 – النسق: مفاهيم وحدود

إنَّ الذي يروم الدلالة المعجمية والسياقية لمنطوق النسق ومفهومه، يهتدي إلى أنَّ المدخل المعجمي(نسق) يدل في اللسان العربي على النظام والانتظام، فالنسق من كل شيء:ماكان على طريقة نظام واحد، عام

[1]- Voir,Catherine KERBRAT-ORECCHIONI -La notion d'interaction en linguistique , La langue française (1998) V: 117, No 117,p 55.

[2] - ينظر، قاموس ومعجم المعاني (معجم إلكتروني) www.almaany.com

في الأشياء. ويقول ابن سيدة نَسَقَ الشيءَ يَنْسُقُه ُ نَسْقًا، ونسَّقَهُ نظّمَهُ (...) وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقَتْ (...) والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأنَّ الشيء إذا عطفت عليه شيئًا بعده جرى مجرى واحدًا(...) ونَسَقُ الأسنانِ: انتظامها في النِّبْتَةِ وحسن تركيبها (...) والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد.[1]

أضحى مفهوم النسق في الثقافة الاصطلاحية العربية المعاصرة مكافئًا[2] لمصطلح (Système/ System) في الإنحليزية والفرنسية وهو مشتق من أصل تأثيلي للكلمة اليونانية القديمة sustēma التي تدل على معنى التنظيم، أو المجموع (الكل)، وهي بدورها مشتقة من الفعل sunistēmi بمعنى أسَّسَ، أو أنشأ علاقات.[3]

ويدل مصطلح النسق (Système/System) في الألسنة الهندو - أوروبية المتفرعة عن اليونانية[4] القديمة واللاتينية بشكل عام على "وضع أشياء بعضها مع بعض في شكل منظم منسق".[5] ومن ثمة أمسى النسق يرتبط بمعنى الأشياء المنظمة وفق علاقات وقوانين ثابتة تربط الأشياء بالكل الذي يحتويها.

---

[1] - ينظر، ابن منظور لسان العرب مادة (نسق).

[2] - بعض الباحثين يستخدم مصطلح النظام مكافئًا لمصطلح(Système).

[3] -Voir, Dictionnaire du français Larousse (Système).

[4] - تبنت المعاجم والموسوعات الفلسفية لفظة نسق اليونانية Systema، وعرفت الموسوعة الروسية النسق بأنَّه لفظة يونانية تعني " الكل المركب من الأجزاء ". الموسوعة الفلسفية موسكو 1983 ص 616. أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد الثالث والرابع . 2014 ص 370.

[5] - مدكور إبراهيم وآخرون معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 ص 61.

وقد يدل مصطلح النسق (كما يرى بعضهم) على مفهومين اثنين أحدهما عام والآخر خاص. أمَّا العام فهو بمعنى جملة من العناصر مادية، وغير مادية يتبادل بعضها مع بعضها الآخر، فإذا هي تُشَكِّلُ كلاً عضويًّا كالنظام المدرسي والجهاز العصبي مثلاً.

وأما الخاص فهو بمعنى مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية ترتبط منطقيًّا من حيث تماسكها لا من حيث حقيقتها". [1]

كما يُعَرِّفُهُ بعضهم على أنَّه مجموعة من العناصر لها نظام معين يدخل بعضها في علاقات مع بعضها الآخر لكي يؤدي وظيفة معينة.[2]

وبصورة عامة يمكن لنا النظر إلى النسق حسب الحالات الآتية:

هناك أربعة مفاهيم أو مُحَدِّدَاتٍ لها صلة بمفهوم النسق:

1 – التفاعل (L'interaction): التفاعل الداخلي والخارجي، نعني بالتفاعل الداخلي تفاعل الأنساق الفرعية المكونة للنسق الشمولي. ونعني بالتفاعل الخارجي تفاعل النسق مع أنساق أخرى تشاركه في حواليته (L'environnement) الاجتماعية والثقافية، كالتفاعل بين النسق اللغوي والنسق الثقافي في المجتمع الواحد.

2 - الكلية أو الشمولية (Totalité ou Globalité): النسق هو كل شمولي يتكون من عناصر منتظمة غير قابلة للاختزال.وذلك ما أكَّده

---

[1] - ينظر لالاند الموسوعة الفلسفية ترجمة خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت 1996 ج3 ص 1417 أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد الثالث والرابع . 2014ص371.

[2] - Warren, A.C Dictionary of Psychology. New York ;Te Revised Press.1943 p227.

أورده عبد اللطيف محمد خليفة، إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل 1992.ص 30.

هيجل [1] بقوله: إنَّ " المعنى الحقيقي للنسق هو الشمول الكلي، وذلك وحده هو النسق الحق ".[2]

3 - التنظيم (L'organisation): مفهوم التنظيم مفهوم جوهري في بناء النسق، فهو ترتيب الكل اعتمادًا على توزيع عناصره المنتظمة في مستويات هرمية.

4 - التعقيد (Complexité): النسق معقد في كيانه البنائي.

هناك ثلاثة عوامل تتعلق بهذا التعقيد:

1 - درجة عالية من التنظيم.

2 - صعوبة تحديد عناصره.

3 - عدم اليقين في علاقته بالبيئة.[3]

وبعد ما أسلفنا ذكره من حدود وتعريفات يمكن لنا أنْ نتمسك في هذا السبيل الذي نحن بشأنه بحد النسق الشائع في المعارف الإنسانية، فهو، حينئذ، كل شمولي يتكون من عناصر أو وحدات متفاعلة فيما بينها، لكي تؤدي وظيفة معينة. ويسهم كل منها بوزن معين حسب أهميته ودرجة فاعليته داخل الكل (النسق).[4]

وما لا يماري فيه أحد هو أنَّ العلاقات بين مكونات النسق (العناصر النسقية الفاعلة) علاقات متشابكة ومطردة، فأضحى التفاعل بين هذه المكونات خاصية نسقية، إذ تغتدي انتظامًا ثابتًا في سيرورة النسق للحفاظ على بنائه المحكم. ولذلك فإنَّ مكونات الأنساق الاجتماعية

---

[1] - جورج فيلهلم فريدريش هيغل(Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (1770 - 1831) فيلسوف ألماني، اقترن اسمه بحركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر.

[2] - هيجل، تاريخ الفلسفة ص 222.أورده سليمان الضاهر، ص 377.

[3] -Voir Dr. hc. Guy TURCHANY La théorie des systèmes et systèmiques,p4.

[4] - ينظر، عبد اللطيف محمد خليفة،إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل 1992.ص 30.

والثقافية واللغوية تتفاعل باستمرار وتتقاطع، ويؤثر بعضها في كيان بعضها الآخر، وهذا التفاعل والتقاطع هو الذي يضبط انتظامها، ويعزز نسقيتها ويُفَعِّلُ سيرورتها باستمرار.

وتأسيسًا على ذلك فإنَّ النسق في حقيقة أمره كلٌّ شمولي يحتوي العلاقات الوظيفية بين عناصره (مكوناته)، فتغير مادة العنصر لا يؤثر في بناء النسق؛ لأنَّ العلاقة الوظيفية التي تربط العنصر بالنسق لم تتغير. ويضرب لنا دي سوسير (Ferdinand De Saussure) (1857 - 1913) مثلا بلعبة الشَّطرنج (Jeux d'echec)[1] حيث شبه النسق اللساني بنسق لعبة الشَّطرنج التي تحكم عناصرها قوانين ثابتة، فقيمة العنصر تتحدد في وظيفته داخل النسق، وليس في ذاته، إذ إنَّ نسق اللعبة لا يتغير بتغير مادة عناصرها، إذا استبدلنا قطعة عاجية بقطعة خشبية يظل نسق اللعبة قائمًا ولا يتأثر بالتغير المادي لوحدات اللعبة.

يحتوي النسقُ اللغوي بمكوناته الصوتية والتركيبية والدلالية الأنْسَاقَ الأخرى التي لها صلة بالإنسان (النسق الاجتماعي والثقافي)، ويختزلها في نسق سيميائي دال(نسق من العلامات)، تلك العلامات التي تصبح بدائل عن الواقع الطبيعي والاجتماعي والثقافي.

وتأسيسًا على هذا التصور للنسق فإنَّ التغيرات والتحولات التي يمكن أنْ تظهر داخل كيان النسق نفسه ليست اعتباطية، بل هي معطى من معطيات الآلية التنظيمية للنسق؛ أي قوانينه الداخلية، فمكونات النسق تعيد تنظيم نفسها باستمرار حفاظًا على وحدة النسق واستمرارية سيرورته. فالوحدات التي يتكون منها النسق" ليست مجرد

---

[1] -Voir, Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983 ,p125.

تراكمات عرضية تلتقي مصادفة، بل تتمتع بتنظيم ذاتي يحفظ كيانها في سيرورة بناء النسق". [1]

إنَّ تداخل الأنساق في النسق الواحد خاصية من خصائص انفتاح النسق على الأنساق الأخرى فهو حينئذ "نسق تتمايز بداخله أنساق أخرى بحيث يمكن الربط بين علاقات المدخلات - المخرجات داخل النسق". [2]

ثالثًا: تشكل الأنساق في المجتمع اللغوي

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ المجتمع المتجانس ثقافيًا وحضاريًا تتعايش فيه أنساق لغوية واجتماعية وثقافية، لتشكل نسقًا شموليًّا يضفي على المجتمع خصائصه العرقية والدينية والتاريخية والحضارية بشكل عام، تتبدى معالم هذا النسق في المعتقدات واللغات والأعراف الاجتماعية والثقافية.

ومما لا يرتاب فيه أحد أيضا هو أنَّ أصفى صورة للنسق الاجتماعي المتعدد تتبدى بكل وضوح في تنوع الأنساق اللغوية وتفاعلها (الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، التعددية اللغوية).ودرجة تواترها وشيوعها، وقوة هيمنتها في التواصل الاجتماعي.

يكون حريًّا بنا في هذا المقام أنْ نورد الأنساق التواصلية في المجتمع المتعدد لتدارسها وعرض بدئها ومآلها.

---

[1] - سليمان أحمد الضاهر، المرجع المذكور سابقًا، ص 384.

[2] - نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي،ط1 منشورات الجمل، بغداد 2010. ص63.

1 - الازدواجية(Diglossie/ diglossia)[1]

ظهر مفهوم Diglossie في بدء نشأته، ووُظِّفَ لأول مرة عام 1884 في إنجازات الكاتب والمختص في الحضارة اليونانية إيمانويل روايديس Emanuel Roidis [2] لوصف وضع اللغة اليونانية حيث يوجد مستويان لغويان مختلفان، وكان يقصد به الثنائية اللهجية Blinguisme dialectal وكان قد استعار هذا المصطلح من أصل تأثيلي يوناني Diglottos الذي معناه استخدام لغتين في مجتمع لغوي واحد. نشرت هذه الدراسة في مجلة الدراسات اليونانية Akpolis0 [3]

كان مصطلح الازدواجية (Diglossie) مرادفًا للثنائة اللغوية (Bilinguisme) في اللغة اليونانية قبل أنْ يشيع في الثقافة الفرنسية [4] على يد وليام مارسي[5] ابتداء من عام 1930 في دراسة له موسومة بـ"الازدواجية اللغوية العربية Diglossie Arabe"، وهي في تصوره وضعية لسانية، حيث يوجد نسقان لسانيان في بلد واحد لاعتبارات تاريخية

---

[1] -di-, du grec ancien δι-, issu de δίς (dis) (« deux fois »),gloss-, du grec ancien γλῶσσα (glôssa) (« langue ») et-ie, (« nom dérivé d'adjectif »).

يتكون مصطلح (Diglossie) من أصل تأثيلي مركب من اليونانية القديمة:

DI(DIS)= مضعف (ثنائي)

Glôssa= لسان

IE = صفة.

[2] - Emmanuel Roïdis (1836 ـ 1904) كاتب وصحفي يوناني.

[3]-Voir, Mackey William «La genèse d'une typologie de la diglossie», Revue québécoise de linguistique théorique et appliquée 8,2 1989pp-11-28.

[4] - لتعميق هذا الموضوع أكثر ينظر: Lambert-Félix PRUDENT, Diglossie et interlecte,Langages,(1981)V;15.No61.pp 13-38

[5] - William Ambroise Marçais (1872 ـ 1956) مستشرق فرنسيمهتم بالوضع السوسيو ـ لساني في الجزائر. بعض من مؤلفاته:

1-Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, 1902

2- Les monuments arabes de Tlemcen, 1903

3-Le dialecte arabe des Ulâd Brahîm de Saîda. Mémoires de la Société de Linguistique de Paris, 1908.

وسياسية واجتماعية كما هو عليه الوضع السوسيو – لساني في الجزائر آنذاك؛ اللغة العربية الفصحى، لغة الدين والأدب من جهة. واللهجات المحلية من جهة أخرى التي تتوزع جغرافيًا حسب الأقاليم والجهات، فهي وضعية سوسيو –لسانية يتنافس فيها نسقان لغويان أحدهما: راق مكتوب والآخر: عامي شفوي.[1]

لم يتواتر استعمال مصطلح الازدواجية اللغوية (Diglossie) وينتشر بين أهل الاختصاص في الثقافة اللسانية العالمية إلا في عام 1959 حين استخدمه الباحث اللساني الاجتماعي الأمريكي شارل فرجيسون (Charles Ferguson) في دراسته (Diglossia) المنشورة في مجلة (Word)[2] وهو مصطلح كما أشرنا إليه سابقًا مأخوذ من اللغة اليونانية.

كان مصطلح الازدواجية اللغوية (Diglossie/Diglossia) في بدء نشأته في اللغة اليونانية يدل على معنى الثنائية اللغوية (Bilinguisme) لكن استخدامه على يد فرجيسون[3] أخذ منحى أكثر دقة مما كان عليه، فتحدد مجاله الاصطلاحي ليدل على وجود نسقين لغويين يتناوبان في الاستعمال، وينتميان إلى بيئة اجتماعية واحدة. وقد وضح فرجيسون ذلك بأنساق لغوية شائعة في بعض المجتمعات: ذكر منها المنطقة الألمانية في سويسرا، ومصر وهايتي واليونان؛ إذ هناك علاقة ثابتة في هذه المجتمعات اللغوية بين ضربين أو نسقين لسانيين بديلين ينتميان إلى أصل

---

1 - Voir,William Marçais, « La diglossie arabe », L'Enseignement public - Revue pédagogique, tome 104, fasc. 12, p. 401-409, 1930.

2 - فرجيسون Charles A. Ferguson, Diglossia, Revue Word n° 15, 1959 (Charles A. Ferguson,)، لساني أمريكي شغل منصب أستاذ في جامعة Stanford، يعد من مؤسسي اللسانيات الاجتاعية، له اهتمام خاص بالازدواجية اللغوية Diglossie.

3 - ورد هذا التعريف في: Charles A. Ferguson, Diglossia, Revue Word n° 15, 1959.

جيني واحد أحدهما راق بمكانته الاجتماعية والآخر وضيع كالعلاقة بين اللسان العربي الفصيح واللهجات العربية[1] على اختلافها، وكاللغة اليونانية الشعبية الحديثة واليونانية المهذبة الصافية.[2]

وبناء على هذا التصور فإنَّ الازدواجية اللغوية في نظر فرجيسون "تقيم مقابلة بين ضربين بديلين من ضروب اللغة تُرفع منزلةُ أحدهما فيعتبر المعيار ويكتب به الأدب المعترف به، لكن لا تتحدث به إلا الأقلية، وتحط منزلة الآخر ولكن تتحدث به الأكثرية ".[3]

انصرف فيشمان(Joshua Fishman)[4] لاحقًا(1972) إلى مقارنة نمطين من أشكال التواصل: (الثنائية اللغوية Bilinguisme) و(الازدواجية اللغوية Diglossie) جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة وهي في نظره قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغة، وهذا يندرج في حقل اللسانيات النفسية وجعل فيها الازدواجية اللغوية من جهة أخرى، وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما، ويعد هذا الشكل التواصلي موضوعًا من موضوعات اللسانيات الاجتماعية، فهي مقابلة، حينئذ، بين:

- الفردي والاجتماعي.
- اللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية.

---

[1] - اللهجة هي: "مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ". إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003،ص 15.

[2] - ينظر لويس جان كالفي،حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008.ص78.

[3] - المرجع نفسه،ص79.

[4] - ورد هذا التعريف في: Joshua Fishman, Sociolinguistique, 1972

فيشمان (Joshua Fishman) ولد بتاريخ 1936/7/18 وتوفي في 2015/3/1باحث لساني اجتماعي أمريكي له اهتمام بالتخطيط اللغوي.

وبهذه المقابلة يعدل فيشمان تصور فرجيسون في مسألتين أساسيتين:

1 - لا يولي فيشمان عناية كبيرة لوجود شفرتين لغويتين مختلفتين.

2 - يفترض فيشمان أنَّ الازدواجية اللغوية قائمة على وجود اختلاف وظيفي بين لغتين مهما كانت درجة ذا الاختلاف طفيفة جدًّا أو عميقة جدًّا، وليس من الضروري أنْ تكون بين الشكلين المختلفين علاقة جينية كما ذهب إليه فرجيسون. [1]

ما فتئ فيشمان يحرص حرصًا شديدًا على تحديد مصطلح الازدواجية اللغوية (Diglossie) تحديدًا دقيقًا يبعده عن اللبس والابهام الذي علق به منذ استخدامه في اللغة اليونانية، إذ كان هذا المصطلح يقترب من مصطلح (Bilinguisme) اقترابًا كبيرًا حتى أوشك أنْ يكون هو إيَّاه.فكان الشغل الشاغل عند فيشمان هو "الفصل بين هذين المفهومين على قدر ما يكون هذا العمل التفكيكي ممكنًا" [2]

تتعلق الازدواجية اللغوية "بوضع لغوي ثنائي تكون فيه أحدى اللغتين ذات مركز اجتماعي سياسي أدنى، وأنَّ كل الأوضاع اللغوية الثنائية التي تصادف في فرنسا هي ازدواجية لغوية" [3] أي أنَّ الأنساق اللغوية المختلفة في المجتمع الفرنسي تندرج في حالة سوسيو- لسانية أساسها الازدواج اللغوي.

وتأسيسًا على ذلك فإنَّ التناوب اللهجي في المجتمع اللغوي المتجانس ثقافيًّا وحضاريًّا هو "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة،

---

[1] - لويس جان كالفي، لمرجع المذكور سابقًا.ص79- 80.

[2] - جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيروت 1990 ص 159.

[3] - المرجع نفسه، ص154.

يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص العامة ".[1]

2 - الثنائية اللغوية Bilinguisme/ Bilingualism

تختلف الثنائية اللغوية عن الازدواجية من حيث العلاقة الاجتماعية بين نسقين لغويين، فالعلاقة الاجتماعية في الازدواجية اللغوية علاقة داخلية (علاقة انتماء)، تتبدى هذه العلاقة في تناوب نسقين لغويين في الاستعمال (التواصل الاجتماعي) ينتمان إلى بيئة اجتماعية واحدة، أمَّا العلاقة في الثنائية اللغوية، فهي علاقة خارجية بين نسقين لغويين ينتميان إلى بيئتين اجتماعيتين مختلفتين كالعربية في الجزائر والفرنسية.

ولذلك فإنَّ الثنائية اللغوية في الثقافة اللسانية والاجتماعية هي بصفة عامة وضعية لسانية يتحدث فيها المتكلمون لغتين مختلفتين من حيث الانتماء الاجتماعي والثقافي والحضاري حسب الوسط الاجتماعي والبيئة المحيطة بالعملية التلفظية، وهي الحالة الأكثر شيوعًا في التعدد اللغوي.[2]

يتكون المصطلح Bilinguisme من سابقة لاتينية Bi/Bis (Prefixe latin) التي تعني وظيفيًّا ودلاليًّا التضعيف والإعادة (التكرار) والتبادل[3]. وLingual لساني واللاحقة ISME (Sufixe) التي تدل على الصفة التي تلحق بالإديولوجيات والفلسفات والمعارف والعلوم الإنسانية. والترجمة المباشرة لهذا المركب: لسان مضعف، من هنا يكتسب المصطلح معنى الثنائية.

---

[1] - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001ص64.

[2] -Voir,Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse, 1973,p65.

[3] -Voir, Dictionnaire français Larousse (Bi/Bis)

يدل مصطلح الثنائية Bilinguisme على التناوب اللغوي في مستويين اثنين:

المستوى الفردي: وضعية فرد يتكلم بطلاقة لغتين مختلفتين "قدرة الفرد على استخدام لغتين، وهي مما يدخل في باب اللسانيات النفسية، وهذه الثنائية ثنائية لغوية فردية، أي ثنائية عند الفرد".[1]

المستوى الاجتماعي: وضعية مجتمع لغوي يستخدم في الوقت نفسع لغتين. وما الثنائية اللغوية إلا حالة خاصة للتعددية التي تشهدها البشرية جمعاء.[2]

ومما لا ريب فيه هو أنَّ التجاور بين الأنساق اللغوية واللهجية في المجتمع الواحد يُعّدُّ مكونًا لسانيًّا واجتماعيًّا من مكونات البناء الثقافي للمجتمع، ولذلك فإنَّ التعايش بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في المجتمع اللغوي قد يتحقق عندما يدرك كل متكلم - مستمع مثالي متى يستخدم هذا النسق اللغوي دون سواه (المبدأ التداولي)، وأين يستخدمه (المقام والسياق)، ومع من يستخدمه (التواصل الاجتماعي). فالتناوب التلفظي بين الأنساق اللغوية يتعزز بتجانس البيئة الاجتماعية في الإقليم الواحد يمثل فيشمان لهذا الوضع بالأقاليم الألمانية في سويسرا "الكانتونات السويسرية الألمانية حيث لكل من الألمانية واللهجة الألمانية المحلية وظائف اجتماعية حسنة الموقع ورفيعة القيمة".[3]

---

[1] - لويس جان كالفي، المرجع المذكور سابقًا، ص 394.

[2]- Voir, Dictionnaires français Larousse (Bilinguisme).

[3] - Fishman ,Sociolinguistique ,p91-92

ورد في: جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيروت 1990 ص 160.

إنَّ الاحتكاك بين الأنساق اللغوية واللهجية، وتناوبها في الاستعمال قد يرقى إلى مستوى التفاعل أو التنافس بين نسقين لغويين في بيئة لسانية واجتماعة واحدة، سواء أكان الأمر يتعلق بالازدواجية أم بالثنائية، ففي كلتا الحالتين يكون المبدأ التداولي (علاقة الخطاب بالموقف التلفظي والسياق التواصلي) هو الفيصل والمعيار المعتمد في الاختيار والتغليب؛ اختيار نسق لغوي أو لهجي وتغليبه على غيره من الأنساق الأخرى في سياق تواصلي بعينه.

تتبدى مهارة المتكلم الثنائي اللغة، وتتجلى كفايته الأدائية (التلفظية) في قدرته على استخدام نسقين لغويين يختلفان من حيث نسقهما اللساني والسيميائي، والتحكم في التناوب بينهما على الرغم من التباين الموجود بين نسق العلامات التي تكونهما، وهي العلامات التي تشكل" بنية مستقلة بذاتها أي أنَّها تقابل بطريقتها الخاصة فيما بينها، بحيث لا يوجد تكافؤ دلالي دقيق بين لغة وأخرى". [1]

بيند أنَّ التناوب التلفظي بين الأنساق اللغوية في إطار الازدواجية (بين اللغة المثالية واللهجات المحلية) قد يفقد مصداقيته السوسيو- لسانية عندما يستحيل إلى صراع بين اللغة المثالية المُمَعْيَرة (Langue standardisée) واللغة غير المعيرة (Non- standardisée) كالصراع الذي يظهر أحيانًا بين اللغة الفصحى واللهجات المحلية على اختلاف مصادرها العرقية والتاريخية، وتنوعاتها الإقليمية وامتداداتها الجغرافية.

ويرى بعضهم في هذا السياق الذي نحن بشأنه أنَّ " الازدواجية اللغوية على الحال التي هي عليه يُجنح بها[2] إلى أنْ تكون ازدواجية معرقلة

---

[1] - أندري مارتيني:مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، دمشق 1985.ص171.

[2] - وقد يتوهم بعض الغربيين، وبعض من أتباعهم في الوطن العربي عندما يتعاملون مع اللغة العربية تاريخيًّا بالتعامل نفسه مع اللغة اللاتينية واللغات المتفرعة عنها، للحكم على اللغة العربية

لتطور الفصحى أو قاتلة لها"، [1] قد يكون ذلك عن طريق الخلط التعسفي في العملية التلفظية بين المكونات الصوتية والتركيبية

بالزوال، ويعتقد هؤلاء أنَّ اللهجات العربية الحديثة التي يسمونها هم باللغات الحية (اللهجات المصرية والشامية والمغاربية) هي التي ستحل محلها. وهذه نظرة مضللة ومغالطة.

[1] - عبد الرحمن يجيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة (ديسمبر) 2011 ص 4. Sciences humaines Volume I. Unesco 1983 (PUF) Paris 1983.p53.

[1] - اميل برهييه، تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر، ترجمة جورج طرابشي (الجزء الخامس) دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ص 96.

[1]. -Voir,Madeline Grawitz, Méthode des sciences sociales, 5 éditions , (Paris: Ed,Dalloz, (1981) p348.

[1] - محمد كامل حسين، وحدة المعرفة، مكتبة النهضة المصرية، ص 56.

[1] - غاستون باشلار Gaston Bachelard (1884 – 1962) فيلسوف فرنسي، كرس حياته العلمية لفلسفة العلوم، وقدّمَ أفكارًا متميزة في مجال الابستمولوجيا. أهم مؤلفاته في فلسفة العلوم:

العقل العلمي الجديد (1934)

تكوين العقل العلمي (1938)

العقلانية والتطبيقية (1948)

المادية العقلانية (1953)

[1] - غاستون باشلار، فلسفة الرفض، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص 144.

[1] - المقاربة السوسيو- لسانية Aproche Socio-linguistique، هي فرع من المقاربة اللسانية تهتم بالعلاقة ما بين الألسنة والمجتمعات، وبالأسباب والظروف الاجتماعية التي تحيط بالبحث اللساني. ينظر، لويس جان كالفي،حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008. ص400.

[1] - مقاربة اجتماعية وثقافية تجمع بين البنى الاجتماعية والبنى الثقافة لمجموعة بشرية معينة.تفيد هذه المقاربة من علم الاجتماع والأنثروبولوجية الثقافية.

[1]- Voir,Catherine KERBRAT-ORECCHIONI -La notion d'interaction en linguistique , La langue française (1998) V: 117, No 117,p 55.

[1] - ينظر، قاموس ومعجم المعاني (معجم إلكتروني) www.almaany.com

[1] - ينظر، ابن منظور لسان العرب مادة (نسق).

[1] - بعض الباحثين يستخدم مصطلح النظام مكافئًا لمصطلح(Système).

[1] -Voir, Dictionnaire du français Larousse (Système).

[1] - تبنت المعاجم والموسوعات الفلسفية لفظة نسق اليونانية Systema، وعرفت الموسوعة الروسية النسق بأنَّه لفظة يونانية تعني " الكل المركب من الأجزاء ". الموسوعة الفلسفية موسكو 1983 ص 616. أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد الثالث والرابع . 2014 ص 370.

[1] - مدكور إبراهيم وآخرون معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 ص 61.

[1] - ينظر لالاند الموسوعة الفلسفية ترجمة خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت 1996 ج3 ص 1417 أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة (النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد الثالث والرابع . 2014ص371.

[1] . Warren, A.C Dictionary of Psychology. New York ;Te Revised Press.1943 p227.

أورده عبد اللطيف محمد خليفة، إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل 1992.ص 30.

[1] - ينظر المرجع نسه،ص 30.

[1] - جورج فيلهلم فريدريش هيغل(Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (1770 - 1831) فيلسوف ألماني، اقترن اسمه بحركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر.

[1] - هيجل، تاريخ الفلسفة ص 222. أورده سليمان الضاهر، ص 377.

[1] -Voir Dr. hc. Guy TURCHANY La théorie des systèmes et systèmiques,p4.

[1] - ينظر، عبد اللطيف محمد خليفة،إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل 1992.ص 30.

[1] - Voir, Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983 ,p125.

[1] - سليمان أحمد الضاهر، المرجع المذكور سابقًا، ص 384.

[1] - نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي،ط1 منشورات الجمل، بغداد 2010. ص63.

[1] -di-, du grec ancien δι-, issu de δίς (dis) (« deux fois »),gloss-, du grec ancien γλῶσσα (glôssa) (« langue ») et-ie, (« nom dérivé d'adjectif »).

يتكون مصطلح (Diglossie) من أصل تأثيلي مركب من اليونانية القديمة:

DI(DIS)= مضعف (ثنائي)

Glôssa= لسان

IE = صفة.

[1] - Emmanuel Roïdis (1836 ـ 1904) كاتب وصحفي يوناني.

[1]-Voir, Mackey William «La genèse d'une typologie de la diglossie», Revue québécoise de linguistique théorique et appliquée 8,2 1989pp-11-28.

[1] - لتعميق هذا الموضوع أكثر ينظر: Lambert-Félix PRUDENT, Diglossie et interlecte,Langages,(1981)V;15.No61.pp 13-38

[1] - William Ambroise Marçais (1872 ـ 1956) مستشرق فرنسي.مهتم بالوضع السوسيو ـ لساني في الجزائر. بعض من مؤلفاته:

1-Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, 1902

3- Les monuments arabes de Tlemcen, 1903

3-Le dialecte arabe des Ulâd Brahîm de Saîda. Mémoires de la Société de Linguistique de Paris, 1908.

1 - Voir,William Marçais, « La diglossie arabe », L'Enseignement public - Revue pédagogique, tome 104, fasc. 12, p. 401-409, 1930.

[1] - Charles A. Ferguson, Diglossia, Revue Word n° 15, 1959 فرجيسون (Charles A. Ferguson,)، لساني أمريكي شغل منصب أستاذ في جامعة Stanford، يعد من مؤسسي اللسانيات الاجتاعية، له اهتمام خاص بالازدواجية اللغوية Diglossie.

[1] - ورد هذا التعريف في: Charles A. Ferguson, Diglossia, Revue Word n° 15, 1959.

[1] - اللهجة هي: " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ". إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مطبعة أبناء وهبة حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003،ص 15.

[1] - ينظر لويس جان كالفي،حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008.ص78.

[1] - المرجع نفسه،ص79.

[1] - ورد هذا التعريف في: Joshua Fishman, Sociolinguistique, 1972

[1] فيشمان (Joshua Fishman) ولد بتاريخ 1936/7/18 وتوفي في 2015/3/1باحث لساني اجتماعي أمريكي له اهتمام بالتخطيط اللغوي.

[1] - لويس جان كالفي، لمرجع المذكور سابقًا.ص79- 80.

[1] - جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيروت 1990 ص 159.

[1] - المرجع نفسه، ص154.

[1] - محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001ص64.

[1] - Voir,Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse, 1973,p65.

[1] -Voir, Dictionnaire français Larousse (Bi/Bis)

[1] - لويس جان كالفي، المرجع المذكور سابقًا، ص 394.

[1]- Voir, Dictionnaires français Larousse (Bilinguisme).

[1] - Fishman ,Sociolinguistique p91-92

والدلالية بين نسق اللغة المثالية (اللغة المعيرة، اللغة العربية الفصحى مثلا)، ونسق اللغة غير المعيرة (اللهجات في المجتمعات العربية على اختلافها). فهي، حينئذ، من نوع " الازدواجية اللغوية غير المتكافئة، وغير النسقية حين الخلط عمدًا بين النوع العالي الرفيع (High Variety) والدوني السفلي (Low Variety) والخلط قصدًا بين المُمَعْيَر وغير المعير".[1]

قد يؤدي استخدام نسقين لغويين من قِبَلِ الأفراد المتكلمين في المجتمع الثنائي اللغة أو المتعدد اللغات إلى صعوبة تحديد التفاعل اللغوي بين الأنساق، وضبط العلاقات اللسانية النفسية في الأداء الفعلي للكلام، وذلك للأسباب الآتية:

1- قدرات المتكلم في اختيار النسق اللغوي المناسب في السياق اللساني المناسب.

2– كفاية المتكلم الثنائي اللغة في احتواء الاختلاف بين اللغتين.

3- مهارة الانتقال من لغة إلى أخرى في السياق التواصلي نفسه.

4- استخدام نسقين لغويين بالكفاية نفسها، وفي السياق التداولي نفسه.

ورد في: جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيروت 1990 ص 160.

[1] - أندري مارتيني:مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، دمشق 1985.ص171.

[1] - وقد يتوهم بعض الغربيين، وبعض من أتباعهم في الوطن العربي عندما يتعاملون مع اللغة العربية تاريخيًّا بالتعامل نفسه مع اللغة اللاتينية واللغات المتفرعة عنها، للحكم على اللغة العربية بالزوال، ويعتقد هؤلاء أنَّ اللهجات العربية الحديثة التي يسمونها هم باللغات الحية (اللهجات المصرية والشامية والمغاربية) هي التي ستحل محلها. وهذه نظرة مضللة ومغالطة.

[1] - عبد الرحمن يجيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية

[1] - المرجع نفسه، ص5.

تشكل الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية في التواصل اللغوي ظاهرتين اثنتين من حيث المرتكزات اللسانية والمنطلقات الاجتماعية، فالازدواجية (Diglossie) هي استخام نسقين لغويين ينتميان عادة إلى أرومة لغوية واحدة، اللغة المثالية القارة والثابتة التي تنعت عادة باللغة الأم (Langue-mère) تشاركها في التواصل الاجتماعي أنساق لهجية.

أما الثنائية اللغوية (Bilinguisme) فهي استخدام نسقين لغويين مختلفين اجتماعيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا سواء أكان هذا الاستخدام على مستوى الأفراد كاستخدام الإنجليزية أو الفرنسية والعربية في المجتمعات العربية، أم كان على مستوى المجتمعات كبعض البلدان التي تقر رسميًّا باستخدام لغتين (الإنجليزية والفرنسية في كندا مثلا).

تختلف الثنائية اللغوية باختلاف العلاقات بين الفئات والمجموعات التي تكون المجتمع الثنائي اللغة:

1 ـ إذا كانت الفئتان متساويتين في المكانة الاجتماعية فإنَّ لغتيهما ترقى إلى مستوى التساوي والحضور في التواصل الاجتماعي، ويُنْعَتُ هذا النوع بالثنائية التبادلية Bilinguisme réciproque/Reciprocal bilingualism. وهي ثنائية في الغالب مستقرة Bilinguisme stable / Stable Bilingualism بفعل نزعة التعايش بين الفئات الاجتماعية. وإذا حدث العكس تكون ثنائية غير مستقرة Bilinguisme instable/ Unistable Bilingualism تؤدي هذه الحالة إلى زيادة في عدد الفئات الثنائية اللغة بالقياس إلى الفئات الأحادية اللغة.

وقد تنشأ في ظل هذه الوضعية اللسانية الاجتماعية ظاهرة جديدة تسمى بالثنائية المتزايدة Bilinguisme /Progressive bilingualism

progressif، قد تكون بسبب عدد تزايد المهاجرين الوافدين من مجتمعات أخرى.

وقد تظهر كذلك ثنائية أخرى بسبب عدم الاستقرار اللغوي والاجتماعي ناتجة عن تناقص عدد الفئات التي تستخدم لغتين في المجتمع الواحد، وتُنْعَتُ هذه الحالة عادة بالثنائية اللغوية المتناقصة Regressive Bilinguisme régressif / bilingualism.[1]

2- ترتبط الثنائية اللغوية في بعض المجتمعات بوجود نسقين لغويين: لغة الأقلية ولغة الأكثرية الغالبة من حيث عدد الناطقين بها، ومن حيث سلطتها السياسية، فالثنائية في هذه الحالة ثنائية اجتماعية فالأقلية في هذه الوضعية الاجتماعية تكتسب لغتها(اللغة الأم)، ثم تكتسب اللغة الثانية (لغة الأغلبية) عن طريق التعلم، أمَّا الأكثرية الغالبة لاعتبارات سياسية واجتماعية لا تهتم بلغة الأقلية، ولا توظفها في تواصلها اليومي، يؤدي هذا الوضع إلى تشكيل فئتين داخل المجتمع اللغوي: فئة تستخدم نسقين لغويين (لغة الأقلية والأغلبية)، وفئة أخرى تستخدم لغة واحدة فقط، هي لغة الأغلبية. فالثنائية ههنا ثنائية غير تبادلية Non-reciprocal bilinguisme non réciproque/ bilingualism.[2]

□

---

[1] - ينظر، إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الثالث، العدد الأول، مارس 2002.ص86. ولتعميق هذا الموضوع أكثر يمكن العودة إلى: Marie-Louise Moreau , Sociolinguistique – Concepts de base – Ed;Pierre Margada.Hayen 1997.pp61-64.

[2] - ينظر، إبراهيم كايد محمود، المرجع المذكور سابقًا، ص 86. وينظر كذلك: Marie-Louise Moreau , Sociolinguistique – Concepts de base – Ed;Pierre Margada.Hayen 1997.pp61-64.

3- التعددية اللغوية. Multilinguisme أو Plurilinguisme

يستخدم مصطلح التعددية اللغوية للدلالة على حالتين اثنتين:

الحالة الأولى: حالة الفرد المتكلم- ـ المستمع المتعدد اللغات، هو ذلك الشخص الذي يستعمل عدة لغات في المجتمع اللغوي الواحد في تواصله العادي، في الأسرة في العمل في العلاقات الاجتماعية (استخدام العربية والفرنسية والإنجليزية لدى المتكلمين في بعض المجتمعات العربية).

الحالة الثانية: حالة المجتمع اللغوي المتعدد اللغات، هو ذلك المجتمع الذي يسمح باستخدام لغات عدة في كل أشكال التواصل، ويقر بها رسميًّا (لغات لها شرعية الحضور في المواثيق الرسمية للدولة)،كالأنساق اللغوية المتعددة في بعض المجتمعات كالمجتمع السويسري الذي تُستخدم فيه رسميًّا اللغة الفرنسية والألمانية والإيطالية واللغة الرومانشية (Romanche)،[1] هذه اللغات كلها لها شرعية الحضور في المنظومة السياسية والثقافية والتربوية...[2]

يمكن لنا أنْ نمثل لهذه الحالة (حالة المجتمع المتعدد اللغات)بنموذجين في العالم المعاصر:

النموذج الأول: نموذج المجتمع الهندي المتعدد اللغات والثقافات، حيث يقر الدستور الهندي رسميًّا باستخدام ثلاث عشرة لغة [3] متداولة إلى

---

[1]- الرومانشية (Romanche) لغة رومانية (Langue romane) متداولة في سويسرا، وتعد إحدى اللغات الأربع الرسمية في سويسرا منذ 1938.

[2] - Voir,Dubois, op.cit, p381.

[3] - هذا بالإضافة إلى (1652) لغة أمّ (Langue-mère) منها حوالي 700 لغة تنتمي إلى أربع أسر لغوية مختلفة، وتكتب بعشرة أنماط كتابية مما جعل الهند مسرحًا للصراعات والنزاعات اللغوية. ينظر عبد الجواد توفيق، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية، مجلة رؤى استراتيجية يناير 2014مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ص124.

جانب اللغة الهندية (اللغة الرسمية)، واللغة الإنجليزية التي تستخدم في المؤسسات.[1]

النموذج الثاني: نموذج التعددية اللغوية في جنوب إفريقيا التي تتعايش فيها لغات عدة ترتبط بأصول عرقية مختلفة، فالخطاب الإعلامي السمعي مثلا يُبَثُّ بتسع لغات، اللغة الإنجليزية ولغة (الأفريكانز) (Afrikans) وسبع لغات أخرى تنتمي إلى أسرة لغات البانتو (Bantu).

تتنوع التعددية اللغوية في جنوب إفريقيا بتنوع الأعراق واختلافها، فالمكونات العرقية تتوزع على أربعة أصول:

1 ـ الأصل الإفريقي الأسود نسبة 70٪ من تعداد السكان.

2 ـ الأصل العرقي الأوروبي الأبيض بنسبة 17٪.

3 ـ أصول ذات ألوان أخرى بنسبة 10٪.

4 ـ الأصل العرقي الأسيوي 3٪.

وقد يزداد هنا الموقف اللغوي تعقيدًا في بعض المجالات كالتعليم والإعلام.[2]

إنَّ استقرار التعددية اللغوية في مجتمع مركب من أعراق وانتماءات ثقافية وحضارية مختلفة لا يعود إلى طبيعة الأنساق اللغوية في ذاتها، وإنَّما يتعزز بالاختيارات السياسية، وبالوسائل الكفيلة لتهيئة جميع الظروف المواتية لاستقرار التعددية واستمراريتها" فعندما تضع دولة ما

---

[1] - ينظر، عبد الجواد توفيق، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية، مجلة رؤى استراتيجية يناير 2014، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتجية ص124.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص124.

التعدد اللغوي في دستورها فإنَّ ذلك يمكنه الإسهام في استقرار الوضع اللغوي التعددي، لكنه لا يسهم فيه بالضرورة". [1]

نجد في هذا السبيل الذي نحن بشأنه دولة الهند تعترف رسميًّا بالتعددية اللغوية والتنوع الثقافي، بيد أنَّها غير قادرة على تأمين هذه التعددية، وتحسين ظروف نشرها وتعليمها نظرًا لقلة النفقات في هذا المجال، الأمر الذي يؤدي إلى تقهقر بعض اللغات، وتقلص مساحتها التواصلية، فتنشأ عن هذا كله توترات ذات طابع سوسيو - لساني قد تصل إلى حد الصراع بين الأنساق اللغوية المختلفة.

وعلى العموم فإنَّ التعددية اللغوية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات عندما تستحيل إلى ظاهرة واقعية معززة بقرارات سياسية، وبأرضية سوسيو- لسانية، وسوسيو- ثقافية، ستحظى بقبول اجتماعي يعمل على استقرارها واستمراريتها، ويهيئ جميع الظروف المواتية للتفاعل بين مكوناتها، والتعايش بين أنساقها.

بيد أنَّ ما يحسن بنا أنْ نشير إليه ههنا هو أنَّ الاعتقاد السائد لدى الناس بأنْ العالم ينقسم إلى لغات تحدها حدود صارمة، كالحدود السياسية التي تحد الدول، هو وهم لاأساس له في الواقع، إذ لا يكاد يوجد بلد أحادي اللغة، كما أنَّه لا تكاد توجد لغة تنحصر في حدود بلد معين، فالإنسان في مواجهة عالم متعدد اللغات بالضرورة. [2]

يؤدي اعتماد التعددية اللغوية المؤسسة والمنهجة (النسقية) في المجتمعات المتعددة الأعراق والأجناس إلى الحفاظ على كيان المجتمع

---

[1] - جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيروت 1990ص 138.

[2] - ينظر، لويس جان كالفي،المرجع المذكور سابقًا. ص 181.

غير المتجانس عرقيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا في إطار الدولة السياسية والوطن الجغرافي الموسع، فالتعددية اللغوية المؤطرة بقرار سياسي، والمحمية بشرعية دستورية تجعل المجتمع متماسكًا بتماسك أنساقه اللغوية والاجتماعية والثقافية.

من هذا المنطلق ما برحت المنظمات الدولية تُكَرِّسُ مبدأ التعدد اللغوي الذي له صلة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع البشري، ويتجلى هذا الاهتمام واضحًا في القرارات والمؤتمرات التي أشرفت عليها الأمم المتحدة:

- أعلنت الأمم المتحدة سنة 2008 عامًا دوليًّا للتعددية اللغوية.
- عقد المؤتمر الأول للتعددية اللغوية والتنمية في العام ذاته(2008) في نيويورك برعاية من اليونسكو.
- عقد المؤتمر الثاني للتعددية اللغوية في عام 2009في ساو باولو(São Paulo) البرازيل.
- عقد المؤتمر الثالث للتعددية اللغوية عام 2010 في الاسكندرية.[1] مصر[2].

عود على بدء نقول إنَّ التعددية اللغوية في معناها العام هي قدرة الفرد والمجتمع على استخدام أكثر من لغتين في المجتمع الواحد، وهي أنواع:

النوع الأول: تعددية لغوية ذات لغة وحيدة غالبة: Plurilinguisme à langue dominante unique

[1] - ينظر عبد الجواد توفيق، المرجع المذكور سابقًا، ص124.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص124.

يتبدَّى هذا النوع من التعدد اللغوي عندما تهيمن لغة من اللغات في مجتمع لغوي متعدد اللغات والثقافات، ويكون سبب هذه الهيمنة هو سلطة اللغة على المستوى السياسي والإداري والثقافي، كاللغة الفرنسية في المجتمع الفرنسي الذي تتعايش فيه لغات عدة: لغة الألزاس[1] والبرتون[2] وكورسيكا[3] ولغات المهاجرين كاللغة العربية والبولونية. ..[4]

النوع الثاني: تعددية لغوية ذات لغة أقلية غالبة Plurilinguisme à langue dominante minoritaire

تعددية تكون فيها اللغة الغالبة من وجهة نظر إحصائية(من حيث عدد الناطقين بها) لغة أقلية، يمكن لنا أنْ نمثل لهذا الوضع بالمجتمع السنغالي[5] الذي يعد مجتمعًا متعدد اللغات، لكنَّ اللغة الغالبة (اللغة الرسمية) هي اللغة الفرنسية الموروثة عن الاستعمار الفرنسي، وهي لغة فئة معينة (فئة الفرنكوفونيين francophones) حيث إنَّ لغة الوُلُف (wolof) لغة غالبة من حيث عدد الناطقين بها، لكنها مغلوبة ومُحَيَّدَةٌ سياسيًّا وثقافيًّا، فهي غير متداولة في المؤسسات الرسمية للدولة. والوضع

---

[1] - الألزاس (Alsace)، هي منطقة ثقافية، ولغوية، وتاريخية، وإدارية في شرقي فرنسا، عاصمتها ستراسبورغ(Strasbourg). كانت تاريخيًّا محل نزاع بين فرنسا وألمانيا.

[2] - (Bretagne) هي منطقة ثقافية تقع في شمال غرب فرنسا. وتسمى أحيانًا ببريطانيا الصغرى، ينتمي سكان هذه المنطقة عرقيًّا إلى الشعوب السلتية (Les Celtes) تستخدم في هذا الإقليم اللغة (Langue bretonne) التي تنتمي سلاليا إلى عائلة اللغات السلتية Langues celtiques.

[3] - كورسيكا بالفرنسية: Corse، بالكورسية:(Corsica) جزيرة فرنسية في البحر الأبيض المتوسط.

[4] - ينظر، لويس جان كالفي،المرجع المذكور سابقًا.ص397.

[5] - السنغال دولة إفريقية متعددة اللغات، فيها ما يقارب 36 لغة متداولة. لكن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للسنغال.

نفسه في مالي[1] حيث اللغة الغالبة من حيث عدد الناطقين بها هي لغة البانبارا Bambara في حين أنَّ اللغة الغالبة سياسيًّا هي اللغة الفرنسية. [2]

النوع الثالث: تعددية لغوية ذات لغة غالبة بديلة Plurilinguisme à alternative langue dominante

تعددية يمكن فيها للغة الغالبة إحصائيًّا المغلوبة ثقافيًّا وسياسيًّا أنْ تحل محل اللغة الغالبة وتأخذ وظيفتها السياسية لتصبح لغة الدولة. مثال هذا الوضع المقاطعات الفرنسية فيما وراء البحار(Territoires d'outre-mer) كـ(المارتينيك Martinique)[3] و(الغوادلوب Guadeloupe) [4] التي يمكن للغات المزيج فيها أنْ تحل محل الفرنسية لغة رسمية". [5]

النوع الخامس: تعددية لغوية ذات لغات غالبة إقليمية Plurilinguisme à langues dominantes regionales

تعددية تتعايش فيها لغات رسمية متعددة في الدولة الواحدة، ويكون لكل لغة من هذه اللغات رقعة جغرافية أوإقليم تكون فيه لغة غالبة، مثل الوضع اللغوي في سويسرا التي جعلت الفرنسية والألمانية

---

[1] - اللغة الرسمية في مالي هي الفرنسية، لكن توجد أكثر من 40 لغة إفريقية تستخدم على نطاق واسع أيضًا من قبل الجماعات العرقية المختلفة. يستطيع حوالي 80٪ من سكان مالي التواصل بلغة البامبارا، وهي لغة التواصل الاجتماعي المشترك.

[2] - ينظر، لويس جان كالفي، المرجع المذكور سابقًا، ص 398.

[3] - مارتينيك (Martinique): جزيرة تقع في شرق البحر الكاريبي إلى الشمال من ترينيداد وتوباغو، تعد أحد الأقاليم الستة والعشرين المكونة للأراضي الفرنسية. اللغة المحلية Créole Martiniquais واللغة الرسمية هي الفرنسية.

[4] - جزر غوادلوب (Guadeloupe) توجد ضمن مجموعة جزر الأنتيل الصغرى التي تمتد على شكل قوس من المحيط الأطلنطي والبحر الكاريبي. تخضع لفرنسا ويتحدث سكانها اللغة الفرنسية.

[5] - ينظر، لويس جان كالفي، المرجع المذكور سابقًا، ص 398.

والإيطالية لغات رسمية فيها، وبلجيكا التي توجد فيها الفرنسية مع الفلمنكية (Flamand أو Flemish) والألمانية [1].

تعد التعددية اللغوية والثقافية الخيار الأفضل أمام مستقبل الإنسانية، وذلك لسببين:

1- للخروج من الأحادية المحلية والتحرر من دائرتها المغلقة، وذلك للتفاعل مع المد الحضاري الجديد، واحتواء المشروع الثقافي العالمي. ولا يمكن لهذا التفاعل أنْ يتحقق خارج دائرة تعدد الألسن، لأنَّ المتكلم الأحادي اللغة هو في تقهقر دائم ومستمر سيؤدي به لامحالة إلى التخلي عن دوره الحضاري المنتظر.

2- لمواجهة نزعة الحضارة القطبية التي تسعى إلى تكريس مبدأ اللغة العالمية المهيمنة، فهي أحادية أخرى ذات بعد عالمي.

ومن ههنا فإنَّ التمسك بالتعددية اللغوية هو السبيل المتوخى للتحرر من سلطة الأحادية، سواء أكانت هذه الأحادية محلية أم عالمية، والعمل على ترقية مبدأ التلاقي والاختلاف بين اللغات والثقافات في الوقت نفسه.

تعد الترجمة،حينئذ، النطاق المؤهل معرفيًّا ومنهجيًّا لتأطير التعددية اللغوية والثقافية، وتفعيل آليات احتواء الاختلاف، وترقية سبل التلاقي بين اللغات والتعايش بين الثقافات والحضارات في أرقى صوره.وما كان ذلك إلا لأنَّ الترجمة نشاط لساني متعدد بالضرورة؛ فهو مسار فاعل يتكون من عناصر متعددة:

---

[1] - ينظر، المرجع نفسه.ص. 398.

أ- فاعل النشاط (مؤلف، مترجم، قارئ).

ب- موضوع النشاط (نص أصلي، نص وسيط أو مترجم).

ج- مسار النشاط (قراءة، فهم وإدراك، إعادة كتابة) .

ولهذا النشاط ضوابط تحد من عشوائيته، منها بخاصة الأمانة والقدرة على إيجاد المكافئ.[1]

تعد الترجمة، حينئذ، رافدًا من الروافد الحضارية الكبرى، يستخدم هذا الرافد لتحقيق أهداف سامية، منها:

- الاتصال بين الثقافات والحضارات.
- المساهمة في تشكل الحضارة الإنسانية الجديدة.
- احتواء المشروع العلمي والثقافي للحضارة الإنسانية الجديدة.
- تحويل المعرفة الوافدة.
- إحضار الخطاب العلمي الغائب.
- نقل الخطابات العلمية المنجزة عالميًّا.

ومن ههنا فإنَّ الترجمة هي النطاق الشرعي لتعدد الألسن، ومن ثمة هي الوسيط الحضاري دون منازع.

ولا يمكن لنا نحن في المجتمعات العربية أنْ نحتوي التنوع اللغوي والاختلاف الثقافي، في واقعنا العربي العالمي الراهن، بمعزل عن لغتنا التي تفاعلت عبر مسارها التاريخي الطويل بالحمولة الثقافية والحضارية التي تؤطرها لإيجاد الحيز الذي يمكن لها أنْ يحتله بكل أهلية وجدارة واستحقاق للتفاعل مع المتغيرات اللغوية والثقافية التي تشهدها البشرية جمعاء.

---

[1] - Voir, Audet Louise: Etude contrastive dans un cadre dynamique d'analyse du processus de traduction. www. acfas.ca

رابعًا: الأنساق اللغوية والثقافية بين التنوع والاختلاف.

إنَّ المتعقب للمسار التحولي للغات والثقافات عبر تاريخها الطويل سيدرك لا محالة أنَّ النسق اللغوي ما انفك يُتَّخَذُ وسيطًا لفهم الأنساق الثقافية في المجتمع البشري، وما كان ذلك إلا لأنَّ تشكل الأنساق الثقافية لا يمكن له أنْ يتحقق خارج الأنساق اللغوية.تعد هذه العلاقة بين الأنساق اللغوية والثقافية مرتكزًا حضاريًّا ما فتئ يسهم في البناء الحضاري للإنسان. ومن هنا أضحى" تاريخ المجتمع وثقافته وعقلياته لا ينفصل عن تاريخ لسانه". [1]

إذا كان النسق اللغوي نشاطًا اجتماعيًّا وثقافيًّا يرافق سيرورة الأنساق الاجتماعية والثقافية ويسهم في حركيتها عبر الزمان والمكان، فإنَّه يشكل في الوقت نفسه، مكونات الوعي الثقافي لمجموعة بشرية معينة تكون مجتمعًا له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة.

ينتمي المنجز الثقافي الإنساني إلى الأنساق السيميائية الدالة، (الأنساق السمعية والمرئية) التي تشكل شبكة من العلامات تنتظم في أنساق متعددة (الطقوس العادات والتقاليد والأعراف والأساطير والفلكلور والفنون)، ويعد النسق اللغوي الحامل المادي لهذه الأنساق كلها.

ومن ههنا فإنَّ التفاعل بين اللغات يُعَدُّ سبيلاً للتفاعل الثقافي، لأنَّ النسق اللغوي يتضمن الأنساق الثقافية الْمُشَكِّلَة في مجتمع معين، فالتنوع اللغوي هو تنوع في الرؤى والتصورات والمفاهيم والخطابات

---

[1] - روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007.ص142.

المنجزة في ثقافة بعينها، فالتفاعل بين الأنساق اللغوية في المجتمع المتعدد هو تفاعل بين المضامين الفكرية والثقافية والحضارية بشكل عام.

يتعلق مفهوم التعددية الثقافية مبدئيًا بالتعامل مع المجتمعات غير المتجانسة، فالتعددية منظومة فكرية اعتمدتها الدراسات الاستراتيجية والسياسية الكبرى للتعامل مع واقع الأقليات اللغوية والعرقية والدينية في مجتمع الأغلبية، ومن جهة أخرى هي منظومة أكاديمية في حقل الدراسات السوسيو- لسانية والسوسيو- ثقافية تستخدم لتوصيف العلاقات بين الأنساق والفئات المختلفة في المجتمع الواحد (علاقة الأقلية بالأغلبية).

يكاد النسق الثقافي المعزول يكون منعدم الوجود، لأنَّه لا يستطيع أنْ يحافظ على بقائه. يقول ليفي ستراوس [1] في هذ الشأن:" الثقافة الواحدة عندما تكون وحيدة لا تستطيع أنْ تكون متفوقة على الإطلاق شأنها شأن اللاعب المعزول(...) وليس هناك من ثقافة وحيدة، إنَّها دائما في تآلف مع ثقافات أخرى، وهذا ما يمكنها من إحراز سلسلات تراكمية". [2]

أمسى التعدد اللغوي والثقافي مطلبًا حضاريًا "يهدف إلى الإغناء والدفع إلى التعدد الثقافي والمساواة بين الثقافات والشعوب ومشروعيتها والمحافظة على العادات والقيم الإيجابية فيها، وتغذية الفروق التي من شأنها رفع حظوظ الجماعات الإثنية في الحضور الثقافي". [3]

---

[1] - Levi Stauss (1829- 1902) باحث أنثروبولوجي أمريكي.

[2] - ليفي ستراوس، مقالات في الإناسة ص 2008

[3] - عبد القادر الفاسي الفهري، اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد، أبحاث لسانية، المجلد 4 العدد1- 2 (1999) منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط ص 24- 25.

خامسًا: تشكل اللغة الوسيطة في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات

يؤدي احتكاك اللغات وتفاعلها في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات إلى البحث عن نسق تواصلي مشترك لتحقيق أغراض اجتماعية في المعاملات اليومية للجماعات اللغوية (المرافق العامة، الأسواق، التجارة المتنقلة، أماكن العمل، العمالة الوافدة، والشارع بمفهومه العام). يتكون هذا النسق التواصلي الوسيط من خليط من لغات عدة، ولهجات محلية، تُرَكَّبُ ألفاظها وتنتظم في أداء تلفظي مُشَكَّلٍ صوتيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا يحقق أغراضًا تواصلية آنية، أو ظرفية خارج نسق اللغة الأم.

يُطْلَقُ على هذه الظاهرة أحيانًا مصطلح اللغة الهجينة، و(الهُجْنَةُ من الكلام ما يَعِيبُكَ)[1]، أو اللغة الخليط. مقابل هذا المصطلح في اللغات الأجنبية (Langue créole.) و("Langue" pidgin).

يتشكل هذا الخليط في سياق التواصل العام بين فئات عرقية واجتماعية وثقافية مختلفة، تتعايش في بيئة واحدة تجمع بينها الحاجة إلى التواصل، وقضاء المصالح المشتركة (فالحاجة أم الاختراع كما يقال).[2] وقد يصعب في سياقات تواصلية معينة استخدام الأنساق اللغوية

---

[1] - ينظر، ابن منظور لسان العرب (هجن).

[2] - يمكن لنا في هذا السياق أنْ نشير إلى نسق من اللغات الوسيطة الذي نشأ مؤخرًا في ظل تطور وسائل الاتصال (خاصة شبكة التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية)، ينعت هذا النسق عادة بالعرابيزي، أو الفرانكو أربيك (Franco-Arabic)، وهو نسق كتابي (نسق أبجدي) يختزل الحروف العربية في أرقام ويدرجها في الكتابة بحروف لاتينية بطريقة مشفرة. شاعت هذه الكتابة في شبكة التواصل الاجتماعي، وفي الرسائل القصيرة SMS، فهي من هههنا حروف عربية تكتب بالحروف اللاتينية، والحروف العربية التي لا نظير لها في اللاتينية تكتب برقم متفق عليه بتواطئ واصطلاح.

نورد ههنا نماذج من هذا النسق الأبجدي الذي شاع في شبكة التواصل الاجتماعي:

الأم، أو الْمُمَعْيَرَة (اللغات السائدة في المجتمع)، فيلجأ المتكلمون إلى استعمال كلمات معزولة عن التركيب للتفاهم (تشبه هذه الحالة استعمال الإشارات والحركات التي تشكل نسق اللغة الصامتة).

سرعان ما تتحول هذه الكلمات المعزولة الارتجالية إلى نسق تواصلي مشترك تمتلكه الفئات والجماعات المتباينة عرقيًّا ولغويًّا، خاصة في الأسواق والمعاملات التجارية. ومن ههنا تستحيل اللغة الوسيطة إلى نسق تواصلي بديل، يمكن له أنْ يرقى إلى مستوى اللغة المشتركة التي تسمح بالمروق من سلطة اللغة المعيارية، فهي، حينئذ، فضاء أكثر حرية وشمولية في التواصل؛ لأنَّها قائمة أساسًا على مبدأ الإبداع المتجدد.

إنَّ أصفى صورة للغة الوسيطة المتداولة في العالم العربي تتبدى بكل وضوح في اللغة الهجينة، أو اللغة الخليط المتداولة بين فئات العمالة الأسوية في الخليج العربي، اللغة الوسيطة في هذه المنطقة من العالم العربي نسق تواصلي يساعد على التواصل بين العرب من جهة، والوافدين الأسيويين من جهة أخرى، فهو نسق مركب يتشكل من لغات عدة: عربية إنجيزية هندية أوردية[1] بنغالية[2] ولهجات محلية.

2= همزة (سؤال= So2al وسبأ Saba2)/3 = عين / ، 3= غين/6= الطاء/ʻ6= ظاء/ 4= شين / 7= حاء / 5= خاء وقد تكتب، 7 أو kh./ 8= قاف/9= صاد / ʻ9 =ضاد.

[1] - اللغة الأردية: لغة هندية - آرية تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية - الأوروبية. وهي اللغة الرسمية في باكستان. كما أنها تعد واحدة من 22 لغة في الهند وهي لغة رسمية في خمس ولايات هندية. تطورت مفرداتها من اللغة السنسكريتية والفارسية والعربية والتركية والبشتونية.

[2] - اللغة البنغالية: لغة دولة بنغلاديش وولاية بنغال الغربية في الهند، يتكلمونها 190 مليون شخص، فهي من اللغات الكبرى في العالم. تكتب بالكتابة البنغالية. هي إحدى اللغات الهندية - الآرية من أصول اللغات الهدو- أوروبية.

ويمكننا تعريف هذا النسق اللغوي الوسيط بأنَّه خليط مبسط تستعمله جماعتان أو أكثر تنتمي إلى بيئات لغوية وثقافية مختلفة من أجل التواصل اليومي في الحياة العامة، بخاصة المعاملات التجارية في الأسواق الشعبية بين فئتين اثنتين: إحداهما: الفئة الاجتماعية المحلية، وهي الفئة الغالبة بلغتها وثقافتها(اللغة العربية وثقافتها). والفئة الأخرى فئة الوادفين أو العمالة الأسيوية، منها بالخصوص الهندية والأردية والبنغالية، كما أنَّها تستخدم بوصفها وسيطًا بين الفئات الأجنبية نفسها، فهي من ههنا نسق لغوي وظيفي يُكْتَسَبُ بالممارسة كأنَّه لغة ثانية.[1]

من نماذجها:

1 - أنا ما فيه مَعلوم.

2- إنته ليش فيه يرُوح شُغل بكره.

3- هذا ترتيب مال إنته.[2]

4- سير سيارة مال أنا وجييب في سامان مناك وحط داخل رووم مال أنا.

المقابل العربي: أريد منك أن تذهب إلى السيارة لإحضار الأغراض الموجودة فيها ووضعها في غرفتي.

يتشكل هذا الخطاب أو الملفوظ من أنساق لغوية ولهجية:

أ- النسق العربي (الفصيح): سيارة – أنا – داخل

---

[1] - ينظر، علي بن ماجد آل شريدة، اللغة الهجين. لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة جريدة الرياض خميس 10 جمادى الأولى 1432 هـ - 14 ابريل 2011م - العدد 15634.

[2] - ذكر هذه الأمثلة محمد الحارثي في دراسة موسومة بـ: في ركاكة اللغة الوسيطة: لغتنا ولهجاتنا في مهب العُجمة، نشرت بتاريخ: 17 تموز 2001 في موقع رابطة أدباء الشام www.odabasham.net

ب - النسق اللهجي(المحلي): سير- جييب – مال

ج – النسق الإنجليزي: رووم (Room) بمعنى غرفة.[1]

تُكَوِّن هذه اللغة الوسيطة لدى الأسيويين في الخليج العربي خليطًا هجينًا بين العربية والإنجليزية واللغات الأسيوية الأخرى. نذكر نماذج منها:

1- سالري مال أنا، = My salary

2- عفش حق كتشن، = kitchen ware

43- أنت قو بعدين أنا سوي كول= Go and I will call you later on[2]

قد ترقى هذه اللغات الوسيطة إلى لغات أو لهجات عندما تستقر في بعض المجتمعات فتتحول إلى لغة أم عند الأجيال المتلاحقة، تسمى أحيانًا اللغة المولدة(Langue creole)، وهي لغة أكثر تعقيدًا وتطورًا من حيث الأداء والوظيفة، بيد أنَّ كثيرًا من اللغات الوسيطة (الهجينة أو اللغة الخليط) لم تخضع لهذا القانون، (قانون التطور والتحول)، بل الكثير منها انقرض ولم يعد له أثر في الخريطة اللغوية العالمية كاللغة المشتركة الشرق أوسطية Lingua franca التي كانت خليطًا من الإيطالية والإسبانية والبرتغالية مع اقتراض من لغات أخرى كالعربية والتركية والفرنسية واليونانية، كانت هذه اللغة سائدة في القرون الوسطى، ابتداء من القرن الحادي عشر وإلى التاسع عشر الميلادي، إلا أنَّها انقرضت، ولم تتطور إلى لغة أكثر عمقًا وتعقيدًا.[3]

---

[1] - ينظر، منال المرزوقي، التعدد اللساني في المجتمع الإماراتي – دراسة اجتماعية تربوية- مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دولة الإمارات العربية المتحدة 2015 ص74.

[2] - ينظر، حسناء عبد العزيز القنيعير، تأثير العمالة الوافدة على اللغة العربية في دول الخليج، جريدة الرياض الأحد 21 شعبان 1434 هـ - 30 يونيو 2013م - العدد 16442.

[3] - ينظر، علي بن ماجد آل شريدة، اللغة الهجين. لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة جريدة الرياض خميس 10 جمادى الأولى 1432 هـ - 14 ابريل 2011م - العدد 15634.

نشأت اللغة الهجينة المولدة (Langue créole) التي هي خليط مُشَكَّلٌ من لغات عدة؛ فهي لغة مختلطة بفعل الاحتكاك والاتصال بين لغات محلية ولغة أوروبية كالفرنسية أو الإسبانية أو البرتغالية أو الإنجليزية أو الهولندية بلغة محلية. فأضحت هذه اللغة الخليط لغة مشتركة(لغة أم) لمجموعة لغوية كاللغة المزيج في هايتي (Haïti)، وفي المقاطعات الفرنسية الواقعة فيما وراء البحار (Territoires d'outre-mer) مثل المارتينيك Martinique والغوادلوب Guadeloupe . [1]

ينطبق هذا الوضع كذلك على اللغة الخليط ("Langue " pidgin) التي هي لغة وسيطة تتكون من نسقين مختلفين: أحدهما نسق قواعدي (نحوي) للغة معينة والآخر نسق دلالي (مفردات) من لغة أخرى. فهي ثمرة من ثمرات الاحتكاك والتفاعل بين المتكلمين الذين ينتمون إلى مجتمعات لغوية مختلفة لتلبية الحاجة التواصلية الاضطرارية. هكذا نشأت اللغة الإنجليزية الخليط(pidgin) التي أعطت اسمها لهذا النوع (لقاء الانجليزية والصينية في وضع التبادل التجاري على وجه الخصوص)، تتكون هذه التوأمة اللغوية من قواعد نحوية صينية ومفردات إنجليزية ينطق بها على الطريقة التركيبية للغة الصينية. ونشير هنا إلى أنَّ مصطلح (بيدجين Pidgin) الذي يعني اللغة الخليط هو تحريف للكلمة (بزنس Business) الإنجليزية، مما يدل على الوظيفة الأصلية للغة الخليط، والبيئة التجارية التي نشأت في رحابها.[2]

---

[1] - ينظر، لويس جان كالفي،المرجع المذكور سابقًا. ص403.

[2] - ينظر، المرجع نفسه، ص402.

خاتمة

ينتهي بنا مآل التبحث إلى أنَّ المقاربة البينية (اللسانية والاجتماعية) لتفاعل الأنساق اللغوية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات ما انفكت تؤسس لنفسها مرتكزات علمية، وتراكمات معرفية، ظلت تعيد نفسها باستمرار في المسار التحولي للدراسات السوسيو- لسانية والسوسيو- ثقافية، تلك التراكمات التي مابرحت تتجدد في سيرورة دائمة، وتسلك سبيلها النظري والإجرائي إلى أنْ أثمرت، وأتت أكلها فيما أضحى يعرف بمقاربة الأنساق اللغوية والاجتماعية.

ويكون حريًّا بنا في هذا السبيل المعرفي الذي نحن بشأنه أنْ نشير إلى أهم المرتكزات التي كانت مركز استقطاب في هذه المداخلة:

1 - الدراسات البينية - من المنظور الابستمولوجي- شراكة فعلية بين العلوم والمعارف المختلفة التي تسهم في تعميق التقاطع بين المعارف، وتأكيد العلاقات والروابط المعرفية والمنهجية للعلوم على اختلاف الحقول التي تنتمي إليها، وتنشأ عن هذا التلاقي معارف جديدة.

2 - تهدف الدراسات البينية (اللسانية والاجتماعية والثقافية) إلى تعميق التقاطع المعرفي والمنهجي بين التخصصات والأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية، وإعادة هيكلتها هيكلة جديدة قائمة على وحدة المعرفة الإنسانية.

3- تتفاعل الأنساق الاجتماعية والثقافية واللغوية باستمرار وتتقاطع، ويؤثر بعضها في كيان بعضها الآخر، وهذا التفاعل والتقاطع هو الذي يضبط انتظامها، ويعزز نسقيتها ويُفَعِّلُ سيرورتها باستمرار.

4 - المجتمع المتجانس ثقافيًا وحضاريًا تتعايش فيه أنساق لغوية واجتماعية وثقافية لتشكل نسقًا شموليًّا يضفي على المجتمع خصائصه العرقية والدينية والتاريخية والحضارية بشكل عام.

5- تحظى التعددية اللغوية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات عندما تعزز بقرارات سياسية، وبأرضية سوسيو- لسانية، وسوسيو- ثقافية، بقبول اجتماعي يعمل على استقرارها واستمراريتها، ويهيئ جميع الظروف المواتية للتفاعل بين مكوناتها، والتعايش بين أنساقها.

6- الانصراف نحو التعددية اللغوية يعزز مواجهة نزعة الحضارة القطبية التي تسعى إلى تكريس مبدأ اللغة العالمية المهيمنة، فهي أحادية أخرى ذات بعد عالمي.

7- التمسك بالتعددية اللغوية هو السبيل المتوخى للتحرر من سلطة الأحادية، سواء أكانت هذه الأحادية محلية أم عالمية، والعمل على ترقية مبدأ التلاقي والاختلاف بين اللغات والثقافات في الوقت نفسه.

8- يعد التداخل اللغوي ظاهرة مرافقة لتفاعل الأنساق اللغوية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات، وقد يتبدَّى التداخل في جميع مستويات اللغة (تداخل صوتي، ومورفولوجي، وتركيبي،ودلالي، وأسلوبي).

9- يستطيع التداخل أنْ يؤخر اكتساب مستوى من مستويات النسق اللساني أو يقاومه، وقد يؤدي إلى حدوث اضطراب دلالي وأسلوبي يتبدَّى في الالتباس التركيبي (النحوي)، أو في اختيار كلمات غير ملائمة بفعل تماثل دلالي خاطئ.

10- تستحيل اللغة الوسيطة في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات إلى نسق تواصلي بديل، يمكن له أنْ يرقى إلى مستوى اللغة المشتركة التي

تسمح بالمروق من سلطة اللغة المعيارية، فهي فضاء أكثر حرية وشمولية في التواصل؛ لأنَّها قائمة أساسًا على مبدأ الإبداع المتجدد.

بيبليوغرافيا

1- إبراهيم كايد محمود، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الثالث، العدد الأول، مارس 2002.

2- أحمد حساني، الترجمة وتعدد الألسن، بين اللسانيات التقابلية وتعليمية اللغات، مجلة المترجم، العدد السابع يناير- جوان، جامعة وهران، الجزائر2003.

3- أحمد حساني، المرتكزات اللسانية لتعليمية اللغات لغير الناطقين بها، مقاربة لسانية تطبيقية تقابلية نصية. أعمال المؤتمر الدولي الأول لتعليم العربية (الأنساق اللغوية والسياقات الثقافية في تعليم اللغة العربية)، الجامعة الأردنية 22- 2014/4/24، مركز اللغات الجامعة الأردنية، المجلد الأول، دار كنوز المعرفة العلمية عمان، الأردن 2014. ص 27- 54.

4- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، ط2 كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي. 2013.

5- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005.

6- اميل برهييه، تاريخ الفلسفة في القرن الثامن عشر، ترجمة جورج طرابشي (الجزء الخامس) دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

7- أندري مارتيني:مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، دمشق 1985.

8- جولييت غارمادي، اللسانة الاجتماعية،ترجمة خليل أحمد خليل ط1 دار الطليعة بيؤوت 1990.

9- روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري ط1 مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2007.

10- الزغول محمد راجي، ازدواجية اللغة نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، مجلة مجمع اللغة، الأردن السنة الثالثة العدد المزدوج 10.9 آب كانون اول 1980.

11- سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد الثالث والرابع. 2014.

12- عبد الجواد توفيق، الواقع اللغوي في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحلية واللغة الانجليزية، مجلة رؤى استراتيجية يناير 2014مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتجية.

13- عبد الرحمن يجيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، المركز العربي السياسات الدوحة (ديسمبر) 2011.

14- علي بن ماجد آل شريدة، اللغة الهجين. لغة العمالة الوافدة بين الضرر والضرورة جريدة الرياض خميس 10 جمادى الأولى 1432 هـ - 14 ابريل 2011م - العدد 15634.

15- بن عبد العالي، عبد السلام، الترجمة أداة للتحديث، مجلة فكر ونقد عدد 80/79 أبريل 2006 المغرب.

16- عبد اللطيف محمد خليفة، إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل 1992.

17- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البضاء المغرب 2005.

18- غاستون باشلار، فلسفة الرفض، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1985.

19- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د. حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008.

20- كلود ليفي شتراوس،مقالات في الإناسة،ترجمة حسن قبيسي، دار التنوير 2008.

21- محمد كامل حسين، وحدة المعرفة، مكتبة النهضة المصرية 1974.

22- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

23- نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي،ط1 منشورات الجمل، بغداد 2010.

24- Andre Martinet, Eléments de linguistique générale, Armand Colin Paris 1970.

25- Catherine KERBRAT-ORECCHIONI - , L NOTION D'INTERACTION en linguistique , La langue française (1998) V: 117, No 117.

26- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. Édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot 1983.

27- Juliette Garmadi, La sociolinguistique (PUF) . Paris (1981).

28- Lambert-Félix PRUDENT, Diglossie et interlecte,Langages,(1981)V;15.No61.pp 13-38.

29- Léo Apostel et autres, Interdisciplinarité et sciences humaines Volume I. Unesco 1983 (PUF) Paris 1983.

30- Louise Moreau , Sociolinguistique – Concepts de base – Ed;Pierre Margada.Hayen 1997.

31- Mackey William «La genèse d'une typologie de la diglossie», Revue québécoise de linguistique théorique et appliquée 8,2 1989.

32- Madeline Grawitz, Méthode des sciences sociales, 5 éditions , (Paris: Ed,Dalloz, (1981).

33- Paul Adolf: Linguistique contrastive et didactique de l'anglais ,Revue de linguistique et de didactique, Nancy ,n° 17/1 mars 1999.